حينما يصبح التاكتيك "فهلوه" يصبح الاستسلام ستراتيجية

من محرر الشؤون المحلية

في الاسبوع الماضي وصف احد الذين قابلوا سول لينوفيتز المقابلة بانها "تاكتيك". وهو يعني بذلك ان موقفه الاساسي من اتفاقيات كامب ديفيد لم يتغير ولكنه مع ذلك يريد الاطلاع على ما يحمله اليه المبعوث الامريكي.

ومن الواضح ان "التاكتيك" هنا لا يستعمل بالمعنى العلمي وانما كمرادف لتعبير "الفهلوة" او "الشطارة" في المناورة!

ولكن مهما كانت بواعث مستخدم ذلك التعبير فان هذا الصنف من "التاكتيك" يبدو مرغوبا لدى بعض الاوساط وفي فترة ماضية كانت بعض الاوساط في بلادنا تعتبر تحركات السادات باتجاه الولايات المتحدة "تاكتيكا" او "فهلوة" يريد بها "الضحك" على الامبريالية الامريكية وجرها الى مواقفه وتسخيرها في خدمة المطالب القومية التي كان يعلن عن تمسكه بها آنذاك.

وقد اعتبر اخراجه للخبراء السوفييت "تاكتيكا" وبعدها اعطي نفس التفسير للاتفاقيات التي وقعها مع امريكا واسرائيل حتى زيارته للقدس. وقبل يومها ان خطابه في الكنيست يعكس المطالب العربية وان الزيارة في حد ذاتها ليست الا "تاكتيكا" اراد به التسريع في تحقيق تلك المطالب. وتوالت الاحداث بعد ذلك حتى وصلت الى ما هي عليه الان. وانسحب المدافعون عن "فهلوة" السادات او صمتوا. وبان الفرق شاسعا بين خطاب السادات في الكنيست وما حققه فعلا بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد. وظهر ان "التاكتيك" اخطر من ان يكون مجرد "فهلوة" لقد كان في الواقع انحرافا ستراتيجيا عن الخط العام لحركة التحرر العربية.

والان يأتي التعامل مع "الحل الامريكي" تحت نفس الذرائع والمبررات التي كان يسوقها السادات ومؤيدوه. رغم ان السادات، صاحب هذه المدرسة نفسه يصر على ان ليس هناك غير ما استطاع تحقيقه هو لدى الولايات المتحدة. ورغم انه تحدى في اكثر من خطاب له الدول العربية لتحقق بواسطة امريكا اكثر مما استطاع هو تحقيقه.

وللحق نشهد ان الذين ما زالوا يحاولون اتباع نفس "التاكتيك" يعلنون انهم لم يحققوا شيئا وان ليس لدى المبعوثين الامريكيين اي جديد. ولكنهم مع ذلك يعربون عن استعدادهم لمواصلة الاجتماع بهم.

فما السر في هذا الاصرار على مواصلة الاتصال؟؟ ان مواصلة الاتصالات لا تحتمل اكثر من تفسير. وهو ان القائمين عليها من الطرف العربي يعتقدون بوجود "امكانية" للوصول الى حل وسط بين مواقفهم المعلنة والمواقف الامريكية المعلنة، واذا لم يكن "حلا وسطا" فعلى الاقل صيغة غامضة يمكن تفسيرها بانها "حل وسط" من ناحية التعبير وليس المضمون.

وورا هذا التفسير تكمن بواعث ايديولوجية ومصلحية طبقية تدفع "المدمنين" على الاتصال بالمبعوثين الامريكيين الى مواصلة تناول "الجرعات" الامريكية بين الحين والاخر للتهرب من مواجهة واقع يفرض عليهم السير في اتجاه اخر.

والاتجاه الاخر ليس سهلا. وهناك مصالح طبقية للسادة "المدمنين" امريكيا تجعل سلوكه امرا محفوفا بالمخاطر او على الاقل لا يضمن توسيع تلك المصالح. فهو ببساطة يعني الاعتماد على القوى والطاقات الذاتية للشعوب العربية، وعلى العون المعنوي والمادي المتوفر والمعروض عليهم من قبل اصدقاء تلك الشعوب. ويعني ايضا مواجهة ردود فعل امريكا واصدقائها في المنطقة. وما يتضمن ذلك من استفزازات عسكرية ومؤامرات داخلية وما يترتب على تلك المواجهة من الحاجة للاستناد الى الجماهير باشاعة الديمقراطية.

غير ان هذه الاسباب للتمنع من سلوك الاتجاه المعادي للحل الامريكي لا تلحق الضرر بالمصلحة الوطنية وحسب، ولكنها تلحق الضرر كذلك بتلك "المصالح" التي يظن اولئك "المدمنون" انهم يدافعون عنها. فاتفاقيات كامب ديفيد واضحة وضوح الشمس. ومشروع الادارة الذاتية الذي تتفاوض حوله مصر واسرائيل لا يعني في اي من الصيغتين المصرية او الاسرائيلية انسحابا من الاراضي المحتلة او تنازلا اسرائيليا عما تسميه "الاشراف الامني"، وهو تعبير مخفف للاحتلال ولا عن الاستيطان.

اذن ما هي الدوافع وراء "الاتصالات" ووراء تبريراتها ووراء ذلك "التاكتيك" الذي لا يفهم معناه الا اصحابه؟

هناك من بين هذه الدوافع الرغبة في تسهيل الامور امام الولايات المتحدة واظهارها بمظهر المتفاهم مع الشعوب العربية لتخدير يقظتها تجاه محاولات الولايات المتحدة فرض الاحلاف العسكرية عليها. وهناك ايضا الحرص على التحالف الاستراتيجي خدمة للمصالح الانانية الضيقة، مع الولايات المتحدة.

ومهما كانت الاهداف المعلنة لتلك "الاتصالات" العلنية منها او التي تجرى وراء الكواليس فان هناك حقيقة اساسية لا يختلف عليها جميع من يستخدمون تعبير "التاكتيك" بغض النظر عن المعاني التي يعطونها له وهو انه غير منفصل عن الاستراتيجية. واذا كان "التاكتيك" هو الاعتماد على الامبريالية الامريكية في تحقيق حل للنزاع في الشرق الاوسط وللقضية الفلسطينية فان "الاستراتيجية" لا بد ان تكون حلا اميركيا يضع المنطقة من خلال الاحلاف والادارة الذاتية تحت السيطرة الامريكية. ونتائج "تاكتيك" السادات تظهر ان مهر نفسها غدت جزءا واداة لخدمة المخططات الاستراتيجية الامريكية في المنطقة.

○

الاحلاف تظهر في زي جديد اما الاهداف فواحدة وان اختلفت التسميات

الدبلوماسية السرية القائمة على الاتصالات المباشرة ليست حدثا جديدا في عالم السياسة. وكانت تمارس في الماضي كسبيل لعقد "الصفقات التآمرية" ضد البلدان الاخرى منذ اول عهد حكومات الاسياد في العصور القديمة. ولكن تطور وسائل الاتصال والاعلام زاد من حاجة هذا الصنف من الدبلوماسية الى "السرية" والى "اللااخلاقية" وتعدد الوجوه والمظاهر امام مختلف الاطراف المعنية وامام الشعوب التي ترقب حركات اولئك الدبلوماسيين وتتساءل عن اهدافها ومراميها.

وقد التصق هذا الطراز من "الدبلوماسيين" باسم كيسنجر رغم انه في الحقيقة لم يكن الا اداة التعبير عن وسائل واهداف السياسة الامريكية في ظروف ازمتها العامة وعزلتها الدولية.

وكانت هذه "الدبلوماسية" ولا تزال تستهدف تحت غطاء "الانفراج" وفي ظل العجز النسبي عن ممارسة مشاريع العدوان المكشوف، احداث تغيير في توازن القوى على الصعيد الدولي من خلال اتباع سياسة منافقة متعددة الوجوه.

وتحت شعار البحث عن "السلام في الشرق الاوسط" عمل كيسنجر وبعده فانس على احباط مؤتمر جنيف وتفاهم مع السادات على معاداة الاتحاد السوفييتي وضرب التضامن العربي واحداث تغيير في توازن القوى لغير صالح البلاد العربية. وكانت اتفاقيات كامب ديفيد تجسيدا لذلك "الجهد" الامريكي ومدخلا، في نفس الوقت، لاقامة التطفلات العسكرية وزيادة حدة التوتر في المنطقة وتقليص فرص السلام.

وقد حاول كيسنجر نفسه ومن بعده فانس تطبيق هذا النمط من الدبلوماسية في زيمبابوي بالتظاهر بالرغبة في اعادة "السلام" الى ذلك البلد بحل اميركي بريطاني. وكان واضحا منذ البداية ان الحل موجه لضرب جبهة تحرير زيمبابوي واثارة الشقاق فيما بين دول الخط الاول الافريقية المساندة لها، والتمهيد لتنصيب موزيريوا كصورة "سوداء" لحكم ايان سميث الابيض. غير ان هذه المحاولة فشلت في مهدها ولم ينفع في معالجتها ظهور الامبريالية الامريكية بمظهر "اسود" في شخص اندرو يانغ.

المهم من كل هذا هو ان الامبريالية الامريكية لم تغير جوهر سياستها وما كانت تفعله في الخمسينات هو ما تريد ان تفعله، ان استطاعت، في الثمانينات مع بعض التغييرات في الاشكال والزخرفة اللفظية.

وتؤكد ذلك حقيقة ان الولايات المتحدة انطلقت منذ سنوات بالحديث عن "السلام" في الشرق الاوسط، وصاغت اتفاقيات وقعت عليها كل من مصر واسرائيل وقيل عنها عندئذ انها "اطار للسلام الشامل" في الشرق الاوسط. وبعد توقيعها باسابيع قليلة اخذت تتوارد الانباء عن شحنات من الاسلحة الامريكية الى كل من مصر واسرائيل وبات المسؤولون المصريون لا يتحدثون الا عن "ضرورة تعزيز قدرة الجيش المصري" وعن الاستعداد للقيام بمغامرات حربية في افريقيا كان بينها ارسال الجنود الى زائير والحشودات على الحدود الليبية، ومساعدة زياد برى، وقابوس بالجنود والعتاد. رغم ان تبرير توقيع اتفاقيات كامب ديفيد كان ادعاء المسؤولين المصريين بانهم يريدون تحويل النفقات العسكرية التي استدعتها حالة الحرب مع اسرائيل الى "الاعمار" و "الرفاه الاقتصادي"..

وبعد اقل من سنة على توقيع معاهدة الصلح المنفرد بين مصر واسرائيل يطرح الان مشروع حلف عسكري على غرار مشاريع الاحلاف العسكرية التي دانت تطرح في سنوات الخمسينات وكانت ترفضها الشعوب العربية. وهكذا اصبح واضحا ان البحث الكيسنجري عن "السلام" لم يكن الا بحثا عن اشكال وطرق لتحويل "حالة الحرب" مع اسرائيل الى "حالة حرب" بالاشتراك مع اسرائيل ضد الاتحاد السوفييتي وحركة التحرر القومي والاجتماعي في غرب اسيا وشرق وشمال افريقيا.

وهذا هو في الواقع الهدف الذي من اجله طرحت مشاريع الاحلاف العسكرية في الخمسينات، واذا ما اراد احد العودة الى سورات تلك المشاريع في تلك الايام فسيجدها نسخة طبق الاصل عما يقال الان.

لقد كانوا يتحدثون عن "الخطر السوفييتي" وعن "حماية المقدسات من "خطر الشيوعية" وجاء ذلك في سورات اقامة حلف بغداد وفي "مبدا ايزنهاور".. وكانوا يتحدثون ايضا عن "البترول" والمياه الدافئة منذ ثورة اكتوبر وفي اعقاب تاييد المؤتمر السوري الكبير لها انذاك. وحينما عقدت مصر صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا قيل الكلام نفسه وكذلك بعد الاتفاق على السد العالي. وانقضت الايام ولم يحدث ما يضفي صفة الصدق على مزاعم الامبريالية، وجاءت احداث افغانستان ليتجدد العرض الامبريالي باقامة الاحلاف العسكرية "للدفاع" عن المنطقة مع ان تلك الاحداث كانت نتيجة العدوان الامبريالي ومحاولة اسقاط النظام الثوري في افغانستان.

وقد ظن بعض حكام المنطقة مثل السادات وضياء الحق ان استعمال تعبير "التسهيلات" العسكرية للولايات المتحدة سيخفف المعارضة للاحلاف والقواعد العسكرية غير ان شعوب المنطقة تدرك جيدا انه مهما اختلفت الاسماء فان ما يدعوا له مبعوثو الولايات المتحدة واتباعهم ليس الا اسلوبا جديدا لاعادة السيطرة الامبريالية الى المنطقة وتجريد الشعوب العربية من مكاسبها التحررية والديمقراطية وزيادة حدة التوتر بصورة تلحق اكبر الضرر بقضية السلام..

الخطر في هذا "الرد الصهيوني المناسب" والواجب نصرة أهالي الخليل

انشات صحيفة الاتحاد في عددها الاخير، بتاريخ ٥ شباط افتتاحية تحدثت فيها عن ممارسات سلطات الاحتلال في مدينة الخليل.

وكتبت الاتحاد تحت عنوان الخطر في هذا "الرد الصهيوني المناسب" والواجب نصرة اهالي الخليل، تقول:-

لن ينتهي مسلسل سفك الدماء العربية واليهودية في منطقة الصراع العربي-الاسرائيلي ما دامت القضية الفلسطينية بدون حل وما دامت ازمة الشرق الاوسط تولد عواصف الصدمات العسكرية والحروب.

ولن يهدأ التوتر في الضفة الغربية ما دام الاحتلال الاسرائيلي يمارس ارهابه الوحشي واجراءاته القمعية ضد هاتين المنطقتين الفلسطينيتين ويحرم الشعب الفلسطيني من حقوقه القومية المشروعة، بل ان هذا التوتر يزداد حدة نتيجة تصعيد الاستيطان الكولونيالي فيهما وما يرافقه من مصادرة اراض وتضييق تشعر فيه الجماهير الشعب الفلسطيني بخطر على وطنهم وكيانهم القومي.

وقد قررت الوزارة في اجتماعها يوم الاحد الماضي، ان تبحث هذه المشاريع وتبت في "الرد الصهيوني المناسب" على مقتل المستوطن في الخليل..

ان كل ما يجري في المناطق المحتلة هو "رد صهيوني مناسب".. اي انه ممارسة صهيونية كلاسية تقوم على الاستيطان الكولونيالي في الاراضي الفلسطينية، وعلى الاعتداء الفظ على حقوق الشعب الفلسطيني وبينها حقه في العودة الى وطنه وتقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني.

ولم يعد هناك من شك في ان حكومة بيغن تنطلق في اجراءاتها الاستبدادية من منطلق الصهيونية التوسعية وتطمح في اقامة دولة اسرائيل اليوم على "ارض اسرائيل" الاتية..اما دولة اسرائيل الكبرى على "ارض اسرائيل التاريخية" وتضم شرق الاردن فستكون في المستقبل حين تنشأ الظروف لذلك.

وباستهتار فظ بحساسية حاكم مصر السادات اعلن بيغن مؤخرا ان فكرة "الادارة الذاتية" فكرة صهيونية تقوم على مسح الحدود الفاصلة بين اسرائيل والمناطق الفلسطينية المحتلة.. ولا مكان لدولة فلسطينية مستقلة على "ارض اسرائيل".

ان مأساة الصراع العربي الاسرائيلي ومصدر الحروب هو في هذا "الرد الصهيوني المناسب".. ولن تنتهي المأساة ولن يختفي الصراع.. ولن تغيب الحرب ليحل السلام في هذه المنطقة ما لم يلغ هذا "الرد الصهيوني"..

وهذا ما على الراي العام الاسرائيلي ان يدركه فلا تغرر به حملة التحريض الدموي التي تشتد باستمرار وتوجهها بعنف اهوج المحافل الاسرائيلية الحاكمة ووسائل الاعلام التي تخدمها.

ونعتقد جازمين بان من واجبات الراي العام ان يهب دفاعا عن اهالي مدينة الخليل الذين يتعرضون اليوم الى العقوبات الجماعية الطاغية والى حملات التنكيل والبطش بينما ينطلق فاشيو عصابة "غوش ايمونيم" بحراسة سلطات الاحتلال للاعتداء على الامنين في تلك المدينة ويستفزونهم الى اقصى حدود الاستفزاز.

سلطات الاحتلال تتراجع عن مصادرة الأوقاف الاسلامية بنابلس

ازاء الموقف الحازم الذي اتخذه اهالي نابلس، بتاييد القوى الوطنية في الضفة الغربية واعلانهم التصدي لاية محاولة للمساس بالاوقاف الاسلامية في المدينة تراجعت سلطات الاحتلال عن موقفها وألغت الحظر الذي كانت قد فرضته على بناء مبنى جديد على اراضي الوقف الاسلامي (اراضي السكة الحديد).

وكانت سلطات الاحتلال قد منعت رؤساء بلديات نابلس وحلحول واريحا ورام الله والبيرة وقلقيلية وطوباس من وضع حجر الاساس للمبنى يوم الاربعاء الماضي.

وجاء التراجع حين ابلغت سلطات الاحتلال هيئة الاوقاف الاسلامية بقرارها الغاء حظر البناء رسميا يوم الاحد الماضي.